رسالة المعلم ..

... الى المعلم

للاستاذ اسماعيل أحمد من المصروسى بك

ظلما فكرت فى هذه الرسالة التى تفضلت وصحيفة التعليم الالزامى» فرغبت إلى أن أقدم بها إلى المعلم، حتى يستوعب فيها جانباً قوياً من جوانب حياته فى ظل نفسه . وفى ظل بيئته، كما فكرت فى هذه الرسالة رأيتنى أنهض بعواطفى كلها إلى تمجيد ذلكم الرجل العظيم الخالد . مسيو « بستالوتسى » المربى السويسرى صاحب الصوت البعيد فى محيط التربية الواسع الجنبات.. كان «بستالوتسى» يكره أولئك الكارهين للاطفال. ويقبل على جهلهم إقبالا فيه أصدق بواعث الحدب والعطف.

وكان رجلا عجيباً تناولته ثروة مذكورة، فراح ينفقها على تهذيب الاطفال وفق مبادئه فى التربية . ولقد أصيب الرجل فى وحيده . وكان من شأن هذه النكبة أن تشغله . وأن تصرفه عن أولئك الاطفال الذين يذكره مرآهم بفجيعته الكبرى . ولكنها لم تشغله . ولم تصرفه عنهم وإنما مدته بروح قوى أثار فى نفسه حرارة قوية . كان اتجاهها منصرفاً إلى تثقيف الاطفال . الى الحدب عليهم . بالغاً ما بلغ من هذا الحدب الوسيع . . .

وإنى لأتمثل الاثر الذى أحدثه « بستالوتسى » فأرى أنه أنفع ما أثارته مبادئ التربية فى كل العصور لأنه يدعو « المعلم » دعوة رائعة إلى حب الطفل . وحب الطفل هو فى جلته وتفصيله أول مراحل النجاح فى التربية لأنه يهدى « المعلم » إلى شىء غير قليل من الايمان بأنه يربى ويقدم إلى الحياة أرواحاً لاتعرف الشوائب ، ولاتدرى ما هى المنزلات . . . ذلك أن حب الطفل من جانب المعلم يلهمه أخذه بالهوادة . وتناوله باللين وإذاعة الغلظة فى معاملته وتلك خصائص يستغلها الطفل استغلالا يتأكد لمعلمه أنه مقبل على حياة لا يجد من نفسه دافعاً يصرفه عن الاقبال عليها .

وإذن فمن خير « المعلم » أن يحب الاطفال حتى يساير فى دراسته لهم هوى عميقاً فى نفسه، وحتى يكون التوافق بين روحه وجوارحه توافقاً ملحوظاً، ومن خير المعلم إلى جانب ذلك

ألا يوجه الانتقال وجهة لا تجرى وفق فطرتهم . حتى لا يكون حرباً عوانا على أذهانهم وعلى ميولهم . وعلى عواطفهم جميعاً .

وإنه لحقيق بالمعلم ان يؤمن عميق الايمان وقوى الايمان أن أسلوبه فى الدراسة متى فقد الروح التى تشيع عليه أغلى التأثير ، كان أسلوباً قليل الجدوى ، ضئيل الغناء ، فمن خيره إذن أن يتجه إلى تنمية الدافع الداخلى النفسانى فى عمله ، وإنى لأرى من وراء ذلك إلى القول بأن المعلم لا يمكن له أن يطمئن إلى نفاذ دروسه إلى الاعماق — أعماق التلاميذ — إلا بعد أن يعتقد بأنها قد نفذت إلى أعماقه . فإذا اتجه إلى تنمية هذا الدافع النفسانى كان حقيقاً بالاعجاب . وكانت تعاليمه كلها حقيقة بالبقاء فى أذهان التلاميذ ، ومتى استقرت هذه التعاليم فى أذهان التلاميذ . فليس شك فى أنها ماضية بهم إلى نجاح محقق . وفوز لاريبة فيه . . .

على المعلم إذن أن يباعد ما بينه وبين هذا الاسلوب الذى أعبر عنه بالمنطق البارد . . . أتدرون ما هو المنطق البارد ؟ هو أن يندفع المعلم فى إلقاء دروسه بلسانه وحده ، دون أن يشغل معه روحه ووجدانه وعواطفه جميعاً فيكون آليا فى كل شىء ، هذا هو المنطق البارد لانه لا يثير فى نفوس التلاميذ عاطفة من عواطف الرضى .

وخير للمعلم أن يلبس شخصية متيقظة لتقدير طلابه حتى يلفتهم إليه فتكون النتيجة المحتومة استقراراً لآرائه فى نفوسهم استقراراً مكفول البقاء . . . وإنك لتدرى كيف يكون إعجاب النظارة بالغاً أشده حين يشهدون على المسرح ممثلا قد لبس شخصية الدور الذى يمثله بل انك تعلم أن الشاعر الالمانى والفيلسوف الخالد « جوت » كان يبكى لدرامات أجزل من بكاء الجمهور ، لانه أخرجها من وجدانه . فاذا استمع إليها أو عاودها من جديد . آمن على نفسه أنه يعاود شيئا يثير فى نفسه أعمق دواعى التقدير . . .

خير إذن للمعلم أن يعتقد بأنه حين يسلم تعاليمه إلى تلاميذه . إنما يسلمها إلى نفسه أيضا وتلك ميزة . لو أنها توجت أذهان المعلمين لرأينا مصر من ناحيتها الثقافية قد شارفت المقام وارتفعت على الأوج .

ولعل هذه الرسالة أن تكون — على بساطتها — عميقة التأثير فى نفوس المعلمين الذين أتمنى لجهودهم أجزل الفلاح ، وأوفر الفوز .

أحمد فؤاد المصرى